أعلام الجغرافيا فى موريتانيا ومكانتها عند شعرائهم

للأستاذ الدكتور محمد المختار ولد إبّاه

١ - زمان يمر ومكان مستقر :

يحيط بالإنسان فى حياته إطاران ، هما الزمان والمكان . يشعر بالزمان وهو يفر بين يديه ، لا تتوقف ساعاته ولا تغير وجهتها ، تمضى سهامها مسرعة تحمل معها ماضيا ولى بغير رجعة ، وتترك أسئلة ، يستحيل الجواب عنها حول مستقبل الأيام .

أما المكان فإنه يظل ماثلا أمام أعيننا ، ثابتا تحت أقدامنا ، وكأنه يحاول أن يسعفنا باستعادة ذكريات الماضى الذى بقى مستودعا لها ، ومع ما لذلك من تحرك وجريان ، وما لهذا من سكون وثبات ، فإن بينهما صلة وثيقة أوحت لبعض العلماء المحدثين ، بنظرية النسبية المحدودة ، التى لم تر فى الزمان سوى بُعدٍ رابعٍ للمكان ، ويعتقد أصحابها أن فى إمكاننا أن نطوى صفحات الزمان حينما نقترب من السير بسرعة انتشار الضياء ، لكن بعض الفلاسفة سخر من هذا الرأى قائلا " إنها ليست الطريقة المثلى لمكافحة الشيخوخة " .

غير أن هذه المقولة لا تعنى فك ارتباط بين الزمان والمكان ، ولعل أكثر من يحس هذا الارتباط ، هم الشعراء الذين تهتز مشاعرهم كلما وقفوا على المواضيع التى قضوا فيها فتراتٍ من حياتهم ، فنراهم يخاطبونها بالتحية والسلام ، ويسائلونها من مُتَدِيِّريها ، « والدار لو كلمتهم ذات أخبار » .

لكنها تستعجم ، وتواجههم بصمت يبلغ أوجه فيما يرمز إليه أبو الهول من تعبير صامت رهيب وأمام هذا الصمت ، يلوذ الشاعر بالبكاء ، مثل ما بكى ابن حذام ، وامرؤ القيس بين الدّخُول وحَوملِ وزهير بن أبى سُلمى بين الرسّ والرسيس وعاقل ، ومن اتبع طريقهم مثل ذى الرُّمة وجرير بن الخطفى .

٢ - حب الوطن من الإيمان :

ثم لم يقتصر هذا الحب والحنين على الشعراء ، فكان من المأثور أن حب الوطن من الإيمان ، ونرى أن الرسول عليه الصلاة والسلام اشتاق إلى رحاب مكةَ لما أخبره أصيل الغفارى

(أو الهذلى) أنه تركها وقد اخضرت جنباتها وابيضت بطحاؤها ، وأينق إذخرها ، وانتشر سلمُها فقال له صلى الله عليه وسلم : حسبك يا أصيل لا تخزنا ودع القلوب تقر .

وكان بلال بن حمامة يتشوق إلى مكة ، وينشد قول الشاعر :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة

بواد وحولى إذ خر وجليل

وهل أرين يوما مياه مجنة

وهل يبدون لى شامت وطفيل

وتذكرنا هذه الأبيات بمقطوعة لشاعر شنقيطى عرف بلقب بُفمَيْن ، بحنينه إلى "تاركة" حيث يقول :

أحن إلى ترقى ووادى أضائها

وهل لى إلى وادى الأضاء سبيل

وهل أرينّ أنيَا شَوَانَ وقد بدا

من أهلى مقيم عنده ونزول

رسوم بِتِنيافَيلَ منهم محيلة

حنينى إلى أيامهن طويل

وهذا ولم تك العواطف الشعرية أو الوطنية هى وحدها التى حملت العرب والمسلمين على العناية بالأعلام الجغرافية فقد عنوا ، كما هو معلوم ، بالخطط والمسالك ، وطرق الحج والقوافل ، والمناهل ، والحواضر ، فكتبوا المؤلفات العلمية فى هذا المجال .

فرسم الشريف الإدريسى صورة الأرض ، وألف الهمدانى إكليله ووصف جزيرة العرب ، ودون ياقوت الحموى معجمه للبلدان الذى كان بمثابة موسوعة أدبية متميزة ، ووضع المقريزى خططه المشهورة ، والبكرى مسالكه .

وتواصل هذا العمل عند العلماء المعاصرين أمثال العلامة حمد الجاسر ، وعبد الله بن خميس فى المشرق ، ومحمد حجى ود . أحمد توفيق فى المغرب .

٣ - بعض ما كتِب عن الأعلام الجغرافية فى موريتانيا :

وفيما يخص موريتانيا ، فإن أعلامها الجغرافية ما زالت تحتاج إلى مزيد من التعريف على مستوى العالم العربى ، وقد كُتِب عنها إلى الآن ثلاثة كتب مطبوعة ، أولها كتاب الوسيط فى تاريخ أدباء شنقيط ، ومؤلفه أحمد ابن الأمين الذى احتضنته القاهرة طيلة عقدين من الزمن ، استطاع خلالهما أن يغتنم فرصة

المناخ الثقافى فى مصر المعطاء ، فألف مصنفاته المشهورة فى اللغة والأدب ، وقد ذيّل كتابه المعروف بالوسيط فى تراجم أدباء شنقيط بقسم أسماه : «الكلام على شنقيط تخطيطها» وسنقدم عنه ملخصا فى هذه الورقة .

والكتاب الثانى هو كتاب إخبار الأحبار بأخبار الآبار ، للشاعر محمد بن أحمد يوره الديمانى ، وقد اقتصر فيه على منطقة "إيكيدى" وذكر أن معناه بالبربرية الأرض ذات الآبار اللينة التربة، والبعيدة الماء وقدم له بنبذة عن سكان "إيكيدى" من بنى المغافرة من بنى حسان واعتاد أن يفسر معانى أسماء المواضيع التى ذكرها ، وهى فى أغلبها من لغة صنهاجة- والملاحظ أن أكثرها يبتدأ "تن" إذا كان المكان مؤنثا مثل " تنشيكل" أو " تنيافيل " و "تندكسمى " ، أو بـ"إنْ" إذا كان المكان مذكرا مثل بـ "تن" مثل إنزمدّ ، اندومرى ، انواكشط ، وقسرة بالأصلم .

وكلما ذكر موضعًا استطرد ما اشتهر به ، من ذكر فى الشعر ، أو وجود مدفن مشهور ، أو وقعة من أيام الحروب بين السكان .

ففى كلامه عن تِنْيَاشِلْ ، عربها بـ"ذات الحى" وأتى بأبيات لعبد الله بن الشين الديمانى ، من نمط ما كان يردده بلال ، وبوفمين وهى :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة

وللنَّفس بين المأمنين ثلوج

وهل لى بذات الحى عيش ألذهُ

منازلنا قدما وحيث نروج

وفى معرض حديثه عن موضع "دمان" جاء بخبر الحرب بين أبناء أحمد بن دمان ، وأبناء دمان ، وعن الوقعة المشهورة فى هذا المكان .

وفى كلامه عن "انتفاشين" قال إنها تعنى بالبربرية « ذو الكثيب الأبيض » وأن بها مقبرة عظيمة . فيها العلامة النظامة أحمد فال ابن محمد فال اليعقوبى .

وقد سلك العلامة المؤرخ والشاعر الأديب المرحوم المختار بن حامد ، نفس المنهج فى كتاب "جغرافية موريتانيا" تناول فيه الأعلام الجغرافية إلا أن كتابه شمل موريتانيا كلها ، وبدأه بأنساب جميع قبائلها وجغرافيتها مُركزًا على التنظيم الإدارى الحالى ، ثم تحدث فى كل محافظة عن أقسامها الطبيعية ومدنها وقراها ، ومراكزها الإدارية ، ولقد أفاد من ما كتب ابن أحمد يورى وابن الأمين ، معتمدا الضوابط الثلاثة التى ينتقل المكان بسببها عن مجرد اسم

معروف محليا إلى درجة علم جغرافية معروف إقليميًا أو عالميًا . ونذكر بضوابط التحويل ، وهى الشهرة فى الأدب ، أو بالوقائع التاريخية ، أو بمقابر العظماء .

وفيما يلى ملخص عن ما كتبه ابن الأمين .

٤ - ملخص تخطيط شنقيط عند ابن الأمين :

لقد قلنا إن أول محاولة لتدوين الأعلام الجغرافية هى التى قام بها أحمد ابن الأمين فى كتاب الوسيط ، وتحدث فيها عن القطر الواقع فى أطراف العالم العربى ، والذى اشتهر ببلاد شنقيط .

فبيّن حدود البلاد ومناطقها الطبيعية وفى كل منطقة ذكر ما اشتهر من الأماكن ، وما عرفت به من وقائع فى الحروب ، أو أقوال الشعراء فيها ، أو ما يتميز به إنتاجه الزراعى، وها هى أهم هذه المناطق :

(أ) آدرار :

بدأ بمنطقة "آدرار" وذكر أن معناه بالبربرية "الجبل" وتحدث عن الطريق المؤدية إليه ، وقال إنها ثلاثة عشر مسلكا ، نذكر منها الطريق المدعوة بـ "شاة" وقال إنها شاة الجنّ - فلا يمر أحد بها إلا سمع صوت طبول الجن ، فإن هذا شائع عند أهل تلك البلاد .

وتكلم ثانيا عن "الظهر" أى متن آدرار وأن أشهر مدنه شنقيط ، ووادن وأوجفت . وقال إن مدينة شنقيط هى أقدم هذه المدن ، واشتهرت بجودة تمرها وأن النخلة الواحدة قد تحمل خمسة أوسق ، ثم استعرض ستة وعشرين موضعا ، منها مدينة "تنيك" التى يضرب المثل بخرابها ، وذكر أن سببه ما وقع من حرب بها بين أهلها . ومن هذه مواضع " اظهر" وادى "الحفير" وهو تصغير الحفرة. "وفى جودة تمره يقول أحد الظرفاء".

حسبى بمبسمها الألمى إذا ابتسمت من تمر "لحفير" أو من تمر وادان .

وذكر تعليق العلامة الحسن بن زين القنانى ، أن هذا البيت لمتأخر ثقيل .

وذكر تسعة من مواضع آدرار الشرقى ، وقال كلمة موجزة عن تاريخ مدينة وادان" .

وفى كلامه عن "باطن" آدرار ، ذكر مدينة "آطار" فقال إنها مدينة عظيمة ، وتجاورها أودية كثيرة . ولم يذكر فى "الباطن"، سوى ستة مواضع منها "الجريف"وكانوال : الذى عناه امحمد ابن الطلبة بقوله :

هاج قــرح الغــرام بعــد اندمــال

ظُعن ظعـن الخـلـيـط يـوم إنـال

يـوم ولّت كــأنهــا حين جــدت

باســقــات النخــيل من كــانوال

(ب) لعصايب ومقطير :

وبعد آدرار ، الذى قال إنه يتـوسط قُطر شنقيط أراد أن يتحدث عـما حوله من المناطق ، فبدأ بالكلام على لعصايب ومقطير .

وذكر فـيهـما اثنى عـشر مـوضعـا . منها بئر تسـمى "بشـار" وقـد بنى بهـا أحـد أمـراء آدرار دورا ووجـد فـيـهـا آثارا قـديمة ، وكـذلك بئـر الطالب ابن الخليل وقــد زارها المؤلف ، وقــال إنها لما حفرها الطالب وجد فيها قسيا ورماحا قديمة .

(ج) الساقية الحمراء :

ثم بعد ذلك تكلم عن الساقية الحمراء ، وأشار إلى أبيات ابن الشيخ سيدى التى يقول فيها .

أحــمــراء الســواقى مــاورائى

ألان غــربت أيهــا الانتــشــائى

ثم قـال إن الشـيـخ مـحـمـد المصطفى بن مـامين المشـهـور بماء العنين ، قد عـمرها وغـرس فـيـهـا النخل فسهلت المواصلة بين شنقيط وغيرها من المواضع المغربية التابعة للمخزن وذكر أنها فى الأصل للركيبات

(د) اينشيرى :

ويقول ابن الأمين: "بعد آدرار من الجهة الغربية توجد منطقة "إنشيرى" ولم يذكر من معالمها إلا موضعين ، ولعله لم يعرف غيرهما ، ولم يك دقيقا فى تحديد جهتهما ، لأن إينشيرى فى جنوب آدرار وتوجد فيه أعلام جغرافية مذكورة فى الأدب الشنقــيطى ، منهــا "ذربع مــال إشكدان" الذى يعنيه امحمد بن الطلبة بقوله :

على م الأسى ان لم نلم ونجــزع

ونبكى على أطلال رأس الذربع

وقـد بسط المختـار بن حامـد القـول فى ذكـر مواضع إينشيرى ، وخصائصها .

(هـ) تيرس :

وقـد كـان حظ منطقــة "تيـرس" أوفـرعند ابن الأمين ، لأنه أجاد فى وصفها ، وعدَّد أكثر من ثلاثين موضـعـا منهـا .فـقـال إن المطر إذا نزل يبتهج الناس به لجودة تربتها وبعد نزوله بصدق فيها قول العرب "شهرثرى" و"شهر مرعى" ، و"شهر ترى"

وذكر من أعلامها " كدية الجلّ " وفيها معدن للملح المعروف بالسبْخة ، وهى التى اكتشفت فيها أخبار مناجم الحديد فى موريتانيا . ومن أماكنها المشهورة جبلا "عيش اذخيرة ، وبنعميرة" وأورد ابن الأمين قول ابن الطلبة عنها :

يسقى الذراع فيتجريت مدوّما

من خبت "عيش" إلى مدافع تنضُل

(و) تكانت :

ثم تحدث ابن الأمين عن منطقة تكانت ، وفسر معناها مبينا أنها "الغابة" وأنها حلقة جبلية مثل آدرار يفصل بينهما الخط الذى قال إنه لايعرف عنه شيئا بينما أوضح معرفته الدقيقة لتكانت التى قال إنه سلك خمسة من الطرق الموصلة إليها ، وذكر خمسين من أماكنها مثل مدينة تجكح ، وأورد تاريخ بنائها وسبب تشييدها من قبل العلويين النازحين من مدينة شنقيط .

ومن هذه الأماكن ، "اللبيبة" وتعرف اليوم بمقسم "ابن عامر " وبها قبر سلطان مراكش " ابو بكر بن عامر" ، مؤسس دولة المرابطين وحاكمها قبل ابن عمه يوسف بن تاشفين ، ومنها أيضاً القبة وبها قبر العلامة سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم ومعه العلامة سيدى محمود الحاجى ولم يذكر ابن الأمين وابن حامد بعض ما قاله الشعراء لأن أكثره كان باللغة الحسانية العامية ونكتفى بإيراد مقطع واحد من شعر المرحوم محمد بن آدبّ الكتتى ، يستعيد فيها عهد وادى أشاريم ، ووادى اشو ، وهما من منطقة الرشيد فيقول :

أيام عَرفتْ اشو الخيَّام

فاشِوَ مَزال اشِو نَعِيمْ

وأشاريمْ عَرَفْتُ فايَّامْ

مَزَالْ أشاريمْ أشاريمْ

(ز) أراضى الرقيبة وأحوازها :

وقسم ابن الأمين أرض الرقيبة قسمين : الرقيبة البيضاء ، والرقيباء السوداء . وتحدث عن أربعة عشر موضعا منها ، ومن أشهرها : كُنْدَيكة وهى التى وقع فيها يوم مشهور بين أهل سيدى محمود ، وقبيلة كنتة : وذكر أيضًا "انواملين" الذى اشتهر بالوقعة بين جيوش المجاهدين تحت إمرة الشريف مولاى إدريس الفاسى ، ضد الغزاة الفرنسيين ، وانتصار المجاهدين فيها .

ومن المواضع التى ذكرها ، "كيفة" التى كانت فى عهده بئرا ماؤها ملح ، وأصبحت اليوم مدينة كبيرة من عواصم المحافظات الموريتانية .

وفى الرقيبة السوداء ذكر ثمانية مواضع أكثرها أودية وقيعان ثم تابع حديثه عن الركيز الشرقى ، وأفَلّة ، وأوكار الشّرقى ، واعترف فى بعضها أنه لا علم لديه بتفاصيلها ، وهذا واضح فى بعض الأوهام التى وقعت له فى سرد بعض الأماكن فى "أوكار" الشرقى بينما هى من منطقة أفلة .

(ح) الحوض والظهر وأوزواد:

وبعد أوكار الشرقى ، استعرض مواضع الحوض ، والظهر وأزواد ، وتحدث عن مدينة "أروان" وقال إن المطر لا ينزل على بيوتها بسبب دعاء أحد الصالحين فيها . واستدل على ذلك بشهادة رجل من أهلها لقيه فى الحج عام 1317 . ثم ذكر منطقة لِمْرَيَّه (وهى تصغير المرآة ووصف خطورتها على أهل القوافل ، وهى أرض مستوية لا ماء فيها ولا شجر . وكثيراً ما يضل الدليل فيها . مما يجعل المسافرين فيها يضطرون إلى شرب السوائل الموجودة فى بطون جمالهم .

وخصص فقرات مختصرة للمدن القديمة فى هذه المناطق مثل تيشيت وأغْرَيْجِيت ، وَوَلاَتَه ، والنّعمة ، ويُوجْبَيها وسبْخَت تاودنى ، تينبكتو التى قال إنها خارجة عن شنقيط .

(ط) منطقة ترارزة:

لقد كان لابن الأمين معرفة شاملة لهذه المنطقة التى نشأ فيها ، وتربى فى ربوعها ؛ لأنه ولد فى منطقة العُقل . موطن قبيلته العلويين فى "القبلة" ودرس فى آبار تاكَنانَت على شيخ الأساتذة العلامة يحظيه ابن عبد الودود . وعرف معاهد أوكار الغربى ، وإيكيدى وأقطوط الساحلى .

وسنرى أن هذه المناطق استأثرت بأكثر ما دُوّن من الشعر الموريتانى ، باستثناء ما قيل فى منطقة "تيرس" .

وعلى العموم فإن كلام ابن الأمين عن جغرافية شنقيط احتذى فيه منهجه فى شعر أدباء شنقيط ذلك أنه اعتمد على معارفه الخاصة ، فأسعفته حافظته القوية ، ومشاهداته فى رحلاته ، ذلك أنه نشأ فى أرض القبلة ، وعرف مناطقها ، مثل العقل ، وإيكيدى ، وآبار تاكنانت ، وأوكار . ثم تردد على تكانت وسلك طرقاتها ، ومَرَّ بآدرار . ثم إلى الساقية

الحمراء . فى كل هذه المناطق كانت معلوماته دقيقة ، وصحيحة غير أنه فى باقى المناطق ، وقعت له بعض الأغلاط ولعل عذره فى ذلك أنه من أول من كتب فى هذا الموضوع ، فكان لابد أن أن يؤدى ثمن الريادة .

٥ - كلمة عن بعض شعراء الأعلام الجغرافية :

إن أغلبية شعراء شنقيط كانوا ينتمون إلى العشائر الرحل ، ولكل منهم مواطن معهودة ، يرتادها بحسب الفصول ، فإذا نأى عن بعضها اشتاق ، وإذا عاد إليها تذكر عهودها القديمة .

وفى تلك الحالتين ، يقع له ما وصفه الشاعر بقوله :

إذا رأى البرق فى نجد بكى شجنا
وإن رأى النار فى نجد بكر طربا

ومن أشهر شعراء المعاهد .

(أ) امحمد بن الطلبة اليعقوبى :

شاعر الأعلام الجغرافية فى شنقيط بلا منازع هو امحمد بن الطلبة اليعقوبى الذى مسحت أشعاره خريطة عريضة امتدت من الساقية الحمراء شمالا إلى مقربة من نهر السنغال جنوبا . ورسم على هذه "الخريطة" نحو قرابة مئة موضع ، واعتاد أن يخصص كل قصيدة لمنطقة معينة فجيميته التى يعارض بها الشماخ بن ضرار ، تضمنت خمسة وثلاثين من تلك المنازل التى قال عنها :

منازل قد كان السرور محالفى
بها فهى عندى بين سلمى ومنعج

ومن بعض ما قال فى هذه القصيدة :

وذكرة أطغان تربعن باللّوى
لوى الموج فالخبتين من نصف دوكج
إلى البير فالحواء فالفج فالصوى
صوى تِشْلَ فالأجواد فالنهج من إج
تحد بأكناف الزّفال فتيرس
إلى زَيز فالأزوينين والأعوج
إلى أبلقى وَنْكارَ ، فالكَرب ترتعى
به حيث شاءت من حزوز وحندج

إلى أن يقول

من القمع أو من نحو نكجير يمّمت
معاطن جلوى لا تريع لمن وجى

جواعل ذات الرمث فالواد ذى الصفا مـجـانينُ رِقل من كناوال ناوحت

يمينا وعن أيسـارها أم هودج فـروعَ الثـريا لا تُنال بمعـرج

وتزَورّ عن ذى المِرّسِـيط فـوركت كـأنهم إذ ضـحـضح الال دونهم

لمسى ثلاث جُـبّـه لم تُعـرّج خـلايا سـفين مـثـقل مـتـمـعج

أو احتملت من صلب لحريش تنتحى ففى هذه القصيدة كاد أن يستقصى مواضع

رُغَـيْـوية الأمـلاح لم تتلجلج تيرسن كـما أنه ذكر مجمل مـواضع "امِسّاكَ"

أو السَّهب سهب التوأمين فغلَّست وإنشيرى فى قصائده الأخرى " مثل ما قاله فى

بواكـرها والصـبح لم يتـبلج لاميته التى مطلعها :

ومـرَّت على قلب الظليم كـأنهـا صاح قف واستلح على صحن جال

خـذا طيل زوزت من نعـام مـهـيج سـجه النيش هل ترى من جمال

فـما أنس لا أنسى الحدوج روائحا وعينيته التى يقول فى أولها .

من أدوية البطحـاء فـالمتـموج قف بالمرابيع من جـو المبـيـديع

عـوامـد للسّلطين أو هضب مـادِسٍ سـقى المبـيـديع مـربابُ المرابيع

نواكب عن وادى الخليج فـعـفلج سـقـيـاله ولجـرعـاء المشـاقـر من

صـوادر من مـيناء جـوز تحـثّـهـا غور الشقيقة ذات الخلد فالريع

نواتيـهـا فى زاخـر مـتـمـوج إلى الشواجن من وادى الحساء إلى

أو العُمّ من نخل ابن بوصٍ تمايلت طود الحـصـان فُـعـلان المقـاطيع

شـمـاريخـهـا من مُـرطب ومُنضج

(جـ) ابن سيدى شاعر أوكار :

وأوكار الساحلى ، وهى المنطقة التى ارتضع ابن الشيخ سيدى أفاويق الصفاء فى ربوعها ، ففرض على نفسه البكاء فى مغانيها كلما تراءى له منها تل أنار ، وخط الشقارى ، وذواتا عليان ، والميامين أو روابى الكناوين فيقول :

هنالك لا تدع منهن رسما

بدا إلا مررت به مرارا

كما قال :

على دوران أوكار التحايا

تواصل بالغدايا والعشايا

فبيضاء التماشن فالروابى

روابى التوأمات فذى السرايا

إلى هضب السيال فأيدمات

معاهد حبهن لنا سجايا

يفضضها الهجير ولكل بدر

وتذهبها الغدايا والعشايا

ترى الأسباط منها والأراطى

كزين البيض أيام الضحايا

يود ذوو البُلَهْنية اضطجاعا

بها بدل الطناقس والخشايا

ومن مقطعاته المؤثرة قوله فى بئر تامرزكيت التى يعربها ميمونة السعدى عند ما انهارت وعجز أهلها عن إصلاحها .

لعمرك ما ترتاب ميمونة السعدى

بأنا تركنا السعى فى أمرها عمدا

سوى أنا كنا عبيد مشيئة

ولا عار فى أن يُعجز السيد العبدا

حبسنا عليها وهى جدب سوامنا

فما صدنا السعدان عنها ولا صدا

ومرجع سانيها جعلنا مخيما

ليلا تصون الشيب عنها ولا المُردا

ويشرب كل الناس صفو مياههم

ونشرب منها الطين نحسبه شهدا

(جـ) ولد حنبل الحسنى :

شاعر آخر من الذين أسهموا فى رفع ذكر الأعلام الجغرافية فى منطقته ، ألا وهو محمد ابن حنبل الحسنى ، المشهور برائعته الرملية التى مطلعها

أضرم الهم سحيرا فالتهب

لمع برق بربيات الذهب

ولقد كثر وقوفه على مغانى أرضه، وشوقه، فى دمن النقا. ومرقب الصيران وأضل الرعود، كل هذه مواضع فى سهل يعرف بآفطوط الشرقى . ومما يلفت الانتباه أن هذا السهل ينبت أشجارا عالية ، تعرف محليا بالتيدوم وتعرب فى الشعر بالدوم ، قد يبلغ قطر جذع الواحدة منها ثلاثة أمتار ولكل منها اسم علم عليها وقد تغنى الشاعر بها قائلا :

فأضا الرعود فملتقى أعراضها

فالدومة البيضاء فالسندان

إلى أن يقول :

والأرض مترعة زلالا باردا

تحنو عليه نواعم الأغصان

فظلاله لشبابنا متنزه

وفروعه للطير والغلمان

وقد تميزت من بين هذا الشجر ، دومة تسمى ذات الحبال ، وقد اعتاد الزوار التردد عليها والمقيل فى ظلها ، وكتابة ما يريدون تخليده على جذعها . ولقد خاطبها محمد بن حنبل بقوله :

أذات الحبال الشُّم مَالكِ غضة

وفيك نقوشُ الأقدمين الأوائل

تعاطوك قرنا بعد قرن فأصبحوا

رميما رفاتًا تحت صُمِّ الجنادل

وكم فتية قالوا بظلّك قَبْلها

لهم حَسَب فى الأكرمين الأفاضل

وقبل عشر سنوات ، لم تصمد ذات الحبال على مر القرون وسنى الجفاف فأجابت داعى ربها ، دون أن تحظى برثاء أو تأبين ، وسقطت معها الدومة البيضاء ، والسندان . ودويمة العين ، التى يخاطبها الشاعر العلوى محمد عبد الله بن أحمد فال ، فيقول :

دويمةَ العين سرُّ العين مَرآك

لا زال يعلو على الأشجار أعلاك

ما أنت إلا عجوز من عجائزنا

فأنت أمٌّ لنا ونحن أبناك

نفيدك بالدَّوم والأشجار قاطبة

لطيب ما مر من عيش بمغناك

(د) شعراء العقل :

والعُـقل : تطلق على مـجـمـوعـة من الآبار القـصـيـرة ، والواحـدة تسـمى بعُـقلة ، ولعل اشتقاقها أنها فى بعض الفصول يمكن امتياحها بجبل قصير ، مثل العِقال . ولقد كانت مواطن لكثير من الشعراء ، ويقول عنها والدنا محمد فال بن بابه العلوى .

وكـان العُـقْلُ لى وطنًا قـديما

ومـيـلادى بجنب أبى عـقـال

وفى أبى عقال ؛ يقول محمد عبد الله بن أحمد فال العلوى

أيا وادى الأراك وذا العـقـال

ضـلالى عنكمـا عين الضـال

فمن ضـاليكمـا ما مِزْتُ ضالًا

وما مزت السّيَال من السيال

كـأنى لم أُقِم بكمـا زمـانًا

ولا شَـهـرا أقـمت ولا ليـالى

ويذكر محمدو بن محمدى العُقلَ فى قوله :

شـمّـر لعل رسـيم الأينق الذلل

من بعد عشرين يدنى ساكنى العُقل

ويستسقى لها بقوله :

أرض العـقـيـلات يا برق الحـيـا

وعلى أحـيـائهـا لعيـون الشـائمين لُح

ويقول عنها محمدن بن السالم الحسنى :

تضـاحك الركب لما أن رأوا طربى

لما أضـــاء روابى ســـهلة الجلمُ

واعتن لى نَقَيًا لْمَغاسَ واعترضت

لِمْـحـيْـدَتانِ ومن تَاتِيلَتَ العلم

يومى إلى بعضهم بالضحك بعضهم

أنْ قد صبا ويحهم ذا القاحل الهرم

لم أصب ويحكم لكن ذا وطن

لم ينسنيـه بعـاد العـهـد والقـدم

وقد أورد ابن حامد مقطعات كثيرة لمحمد بن محمد المختار العلوى

منها قوله :

لدى الينبـــوع منزلة علىّ

لهـــا ولنا بهـــا زمن رخى

إذا هَبَّ النسـيم بفـوح منهـا

على الأرجـــاء هندى ندى

معـاهد خـيم الوسـمى فـيـهـا

وولى فـيـضـه فـيـهـا الولّى

(هـ) شعراء إيكيدى :

ومن شعـراء إيكيـدى ، نعطى مثـالين من مجموعة كثيرة أحدها يتعلق بمحمد فى الشعر كثيرا . وفيها يقول والدنا .

ذهابى لأرض البحر فى سورة الشتا

وكنت أوان البرد لا آلف البحرا

يعـز على نفـسى اصطبـاراً وإنما

يُهـوّنه أنى أمـرٌ على البـتـرا

٦ - خاتمة :

إن من الضـرورى أن ننبـه على أننا فى هذا المقال ، اقتصرنا على عيّنات محدودة من شعر الأعـلام الجغـرافيـة ، فـاكتفيـنا من القـلادة بما يحيط بالعنق ، ولو حاولنا إحصاء الأماكن المذكـورة فى الأدب الشنقـيطى لتطلب ذلك كتابا مسـتقلا على أقـل تقديرى ؛ وإذا ما أضـفنا إليـه ما قيـل فى الشعـر الحـسانى ، الشعبى ، لاحتجنا إلى عدة مصنفات .

غـير أن الفكرة التى أردنا توضـيحهـا ، هى أن بلاد شنقـيط ، أى مـوريتـانيـا - أراضى مترامـيـة الأطراف ، مليـئة بأعـلام جغـرافيـة ، يلتـقى فـيـهـا الأدب والتـاريخ ، كـمـا أنهـا ، بطبـيـعتـهـا الصـحراوية ، وعـادات شعـرائهـا البدوية ، تعطى صورة تكاد تكون طبق الأصل من الشعر القديم فى جزيرة العرب ، وتجعل من شعراء شنقيط فيما قبل العهد المعاصر خلفاء امرئ القيس بن حجر ، وزهير بن أبى سُلمى ، وذو الرمة ، وجرير ومن اتبع طريقهم .

ولعل فى هذا دليلًا - إن كان النهار يحتاج إلى دليل - على وحـدة الحـضـارة العـربيـة ، وأهمية التركيز على أصولها الثقافية ، التى تعتمد أساسا على القيم الإسلامية الصحيحة .

ومما لا شك فـيـه أن أعـمـال مـجـمـعنا الموقر ، تسهم بحظ وافر فى توثيق روابط هذه الحضارة ، وإن بحـوثه فى الأعـلام الجـغـرافـيـة تقـوى عُرى التـواصل بين أبناء الأمـة العـربيـة فى كل مكان وتوطد أركان التعـارف والتعـاون بينها .

والله الموفق

محمد المختار ولد إبّاه

عضو المجمع المراسل

من موريتانيا